علاقة الأمثال
في سورة إبراهيم عليه السلام بمقاصد السورة

إعداد

محمد مفيد زهير معابرة

جامعة اليرموك

كلية الشريعة - قسم اصول الدين

ملخص البحث

هذا البحث مستل من إطروحة الدكتوراة ، والبحث بعنوان :((علاقة الأمثال في سورة إبراهيم بمقاصد السورة) .
قام الباحث بتقسيم البحث إلى مبحثين : المبحث الأول جعله في تعريف مصطلحات الدراسة ، وفيه ثلاثة مطالب : الأول لتعريف الأمثال لغة واصطلاحاً ، والثاني لبيان أهمية ضرب الأمثال وأغراضها ، والثالث لتعريف علم المقاصد وأهميته ، أمَّا المبحث الثاني : علاقة الأمثال في سورة إبراهيم بمقاصد السورة وفيه أربعة مطالب : الأول كان في بيان مقاصد سورة إبراهيم ، وأمَّا المطالب الثلاثة الأخرى فذكر فيها الباحث الأمثال الصريحة التي وردت في سورة إبراهيم ، وفي كل مطلب قام الباحث ببيان معنى المثل ، ثمَّ بيان علاقة المثل بالمقطع محل وروده ، ثمَّ بيان علاقة المثل بمقاصد السورة .
ويهدف هذا البحث إلى بيان علاقة المثل بالمقطع القرآني الذي ورد فيه المثل ، وذلك من خلال ربط المثل بالآيات التي تسبقه ، والآيات التي جاءت بعده ، كما يهدف هذا البحث أيضاً إلى إظهار علاقة المصل بمقاصد السورة ، وذلك من خلال بيان إرتباط المثل بالمقصد العام لسورة إبراهيم ، ومن ثمَّ بيان إرتباط المثل بالمقاصد الفرعية لسورة إبراهيم .
أمَّا النتائج التي توصل إليها الباحث :
أولاً : أنَّ المثل ليس بعزل عن المقطع الوارد فيه ، فهو مرتبط إرتباطاً وثيقاً بالآيات التي تسبق المثل ، والآيات التي تأتي بعده .
ثانياً : تناسب الأمثال التي وردت في سورة إبراهيم بما جاءت تدعو إليه السورة ، وهذا يبرز من خلال بيان علاقة كل مثل بالمقصد العام للسورة ، وعلاقته بالمقاصد الفرعية المندرجة تحت المقصد العام .

A bstract

This research is an excerpt from a PHD dissertation titled (The Affinity of parables in " sura Ibrahim " with the Intents of the sura .

The research is divided into two subjects , the first being about defining the idioms of the study – with three requirements :

١-Defining parables linguistically and idiomatically .

٢-Showing the importance of giving parables and their purposes .

٣-Defining semantics and its significance .

The second subject being about the affinity of parables in "sura Ibrahim " with the intents of the sura.

It has four requirements the first being about showing the intents of " sura Ibrahim " .

The rest showed the straight parables that occur in " sura Ibrahim ". Each requairemnt shows the meaning of the parables, the affinity of the parable with its context them, the affinity of the parable with the sura .

This research aims at disclosing the affinity of the parable with Qur'anic context which it occurs . the parable is connected with the verses that precede it and those that follow.

The research also aims at disclosing the affinity of the parable with the intents of the sura .

This is achieved by connecting the parable with general intent of " sura Ibrahim " and its connection with the tributary intent of " sura Ibrahim " .

The results are :

First , the parable is not Isolated from its context . It is closely related to the verses that precede it and those that follow.

Second , the harmony of the parables in " sura Ibrahim " with the message of the sura . this is brought about by disclosing the affinity of the parable with the genral intent of the sura and its affinity with the tributary intents of the sura that are listed under the general intent .

المقدمة

الحمدُ للهِ حمدَ عباده الشاكرين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابهِ أجمعين، أما بعد:

فقد أنزل الله سبحانه القرآن الكريم على رسوله الأمين، كي يكون هاديا لهذه الأمة، وامتاز هذا الكتاب العزيز بإعجازه في كل شيءٍ فيه: لغته، وبلاغته وفصاحته، وتشريعاته وأحكامه، وحتى في أسلوبه، ومن الأساليب التي سلكها القرآن الكريم ضرب الأمثال.

ضَربُ الأمثال في الكتاب العزيز من الأساليب البديعة، الدالة على إعجاز القرآن، وذلك من خلال إبراز المعاني للمفردات القرآنية بشكل حَسَن يقربها من العقول، وفي صور ترسخ في الأذهان، كتشبيه الغائب بالحاضر والمعقول بالمحسوس، كما قال الله تعالى: {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ وَما يَعْقِلُها إِلَّا الْعالِمُون} [1]وقال سبحانه: {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}[2].

وإنَّ معرفة أمثال القرآن أمرٌ في غايةِ الأهميةِ؛ ذلك لأنه لا بد منه للعالِمِ المفسر المجتهدِ، والقارئ المتدبر المعتبر، ووضَّح عبد القاهر الجرجاني مدى أهمية الأمثال القرآنية فقال: وأعلم أنَّ مما اتفقَ عليه العقلاء أنَّ التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني، أو أبرزَت هي باختصار في معرضهِ، ونُقِلَت عن صورها الأصلية إلى صُورَتِهِ، أكساها حُلَّةً بَهِيَّةً، وأكسبها منقبةً، ورَفَعَ من أقدارها " [3]، ومن هنا فإنَّ ضَربَ الأمثال في القرآن أسلوبٌ تتضح من خلالهِ الحقائق المعقولة بالصورةِ المحسوسةِ، ومن خلال ضَربِ الأمثال تُقرب هذه الحقائق من الأذهان.

والأمثال القرآنية عند النظر إليها تجد أنها ترتبط ارتباطا وثيقا في السورة، فبالتالي لا بد أن يكون للأمثال القرآنية علاقة بمقاصد السورة محل ورود المثل، فمقصد السورة هو مغزى السورة الذي ترجع إليه معاني السورة ومضمونها، ويمثل روحها الذي يسري في جميع أجزائها، وعلى هذا سيكون موضوع دراستي في هذه الجزئية.

بعنوان: (علاقة الأمثال القرآنية بمقاصد السور دراسة تطبيقية)، راجيا من الله العون والتوفيق والسداد في القول والعمل.

- أسباب اختيار الموضوع:

لقد اخترت هذا الموضوع لأسباب منها:

١ - أهمية الدراسات القرآنية.

---

١) سورة العنكبوت: ٤٣.

٢) سورة الحشر: ٢١

٣) ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ٩٢ – ٩٥

٢- أهمية الأمثال القرآنية، فهي من أهم الطرق والوسائل التي سلكها القرآن في إيصال الدعوة للناس كافَّة بالرغم من اختلاف طبائعهم، وزيادةً في التوضيح والتقرير.
٣- كون الأمثال وصفت بأنَّها لا يعقلها إلا العالمون لعظم الموضوعات التي تتناولها الأمثال القرآنية، بالإضافة إلى أنَّها ضُربَت للناس لكي يتفكروا بها ويتعظوا منها.
٤- الكلام عن العلاقة بين الأمثال المضروبة ومقاصد السور لم يحظ بدراسة متخصصة.

- مشكلة الدراسة وأسئلتها:

تتجلى مشكلة الدراسة بإظهار علاقة الأمثال في سورة آبراهيم بمقاصد السورة مورد المثل، وستجيب عن سؤالٍ رئيسي هو ما علاقة الأمثال في سورة إبراهيم بمقاصد السورة محل المثل؟ ويتمخض هذا السؤال عن أسئلة فرعية هي:
أولاً: ما المقصود بالأمثال القرآنية؟
ثانيا: ما علاقة المثل بمقصد المقطع القرآني الذي ورد فيه المثل؟
ثالثا: ما علاقة المثل القرآني بمقاصد سورة إبراهيم عامة؟

- أهداف الدراسة:

ويُرْجَى من هذه الدراسة إدراك الأهداف التالية:
١- بيان المثل من حيث الممثل لهُ والممثل به.
٢- بيان علاقة المثل في سورة إبراهيم بمقصد المقطع القرآني محل ورود المثل.
٣- بيان علاقة المثل بكل مقاصد سورةِ إبراهيم.

- أهمية الدراسة:

تظهر أهمية هذه الدراسة فيما يأتي:
١ -الوقوف على علم الأمثال في القرآن.
٢ – إبراز أهمية الوقوف على ظاهرة الأمثال في القرآن.
٣ – التأكيد على الترابط الوثيق والتلاحم بين الأمثال القرآنية ومقاصد السورة.

- محددات الدراسة:

سأتناول في هذه الدراسة الأمثال الصريحة في سورة إبراهيم، وهي كل مثلٍ ذكرَ فيه هذا اللفظ .

- الدراسات السابقة:

بعد البحث عن الدراسات السابقة تختص بالأمثال القرآنية تبينَ أنَّ هناك بعضا من الدراسات التي كُتبت في هذا الموضوع، وسأذكرها مع بيان

ما تضمنته كل دراسة، وذكر الفرق بين هذه الدراسات وما يتضمنه موضوع دراستي، وهذه الدراسات هي:

١ -رسالة دكتوراه بعنوان: الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله تعالى، عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة ١٤٢٤هـ.

تتكون هذه الرسالة من ثلاثة أبواب على النحو الآتي: الباب الأول تحدث فيه الباحث عن مقدمات في الأمثال ومقدمات في تعريف الإيمان، فذكر في الفصل الأول مقدمات في الأمثال: معاني لفظ مثل، ومقومات المثل القياسي أهمية الأمثال وأغراضها، كما وجعل الفصل الثاني مقدمات في تعريف الأيمان.

الباب الثاني درس فيه الباحث الأمثال المضروبة لاستنارة قلوب المؤمنين وظلمة قلوب الكافرين من سورة النور، فتحدث في الفصل الأول عن مثل المضروب لنور الله في قلوب المؤمنين، وجاء فيه بالكلام عن: دلالة السياق الذي ورد فيه، ودراسة المثل، والغرض من ضرب المثل، وأهميته، وفوائد مثل النور، والخلاصة دراسة مثل النور.

أما الفصل الثاني فذكر فيه المثلان المضروبان لأعمال الكفار من سورة النور، وتحدث فيه عن: دلالة السياق الذي ورد فيه المثلان، والغرض الذي من أجله ضرب المثلان وأهميتهما.

وأما الباب الثالث فعنونه الباحث الأمثال المضافة لله تعالى وذكر فيه فصلين: الأول النهي عن ضرب الأمثال لله تعالى، والثاني في ثبوت تفرد الله سبحانه وتعالى بالمثل الأعلى.

ومن خلال النظر في مكونات هذه الدراسة يتضح أن هناك اختلافا في موضوع هذه الدراسة والموضوع الذي أنا بصدده، فهذه الدراسة تحدثت عن الأمثال القياسية المضروبة للإيمان بالله تعالى، وموضوع دراستي هو علاقة الأمثال في سورة إبراهيم بمقاصد السورة عامة ومحل ورود المثل.

٢ - رسالة ماجستير بعنوان: الأمثال القرآنية المضروبة لتوحيد العبادة، أحمد بن عطية الغامدي، الجامعة الإسلامية المدنية المنورة، حيث قسم الباحث هذه الدراسة إلى مقدمةٍ وفصل تمهيدي وبابين وخاتمةٍ على النحو الآتي:

حيث ذكر في التمهيد: مقدمات في الأمثال، وتعريف توحيد العبادة وبيان أهميته والأدلة الدالة على ذلك، وتعريف الشركِ، وبيان خطره والأدلة الدالة على التحذير منه.

والباب الأول ذكر فيه الأمثال المضروبة لتوحيد العبادة وفيه فصلان: الفصل الأول الأمثال المضروبة لبيان أهمية الإخلاص، وبركته وذكر فيه ثلاثة أمثال.

والفصل الثاني تحدث فيه عن الأمثال المضروبة لثبات وطمأنينة من حقق التوحيد واستقام على الأيمان وذكر فيه أربعة أمثال.

وأما الباب الثاني فتحدث فيه عن الأمثال المضروبة للشرك والمشركين وجعل فيه خمسة فصول:
الفصل الأول: ما ورد في الأمثال في تمثيل سقوط المشرك من ولاية الله وذكر فيه مثلاً واحدا.
الفصل الثاني: الأمثال المضروبة للبيان ما يتمسك به المشركون، وذكر فيه مثلين.
الفصل الثالث: ما ورد من الأمثال لبيان عجز من يدعى مِن دون الله، واستواء الداعي والمدعوِّ في ذلك، وذكر فيه أربعة أمثال.
الفصل الرابع: ما ورد من الأمثال لبيان قُبْحِ الشركِ، وكراهيةِ السيِّدِ مشاركة عبدِه له في ملكه وتنزه الله تعالى من باب أولى وذكر فيه مثلاً واحدا.
الفصل الخامس: ما ورد من الأمثال في بيان شؤم الشرك وسوء عاقبته وحيرة أهلهِ وذكر فيه ثلاثة أمثال.
وتحدث الباحث في كل مثل ذكره عن: السياق الذي ورد فيه المثل، وبيان نوع المثل والغرض الذي ضرب من أجله، وبيان صورة الممثل به والممثل لهُ، وذكر الفوائد العقدية المستفادة من ضرب المثل.
وعند النظر إلى هذه الدراسة نجد أن موضوعها يختلف عن موضوع دراستي حيث جاءت هذه الدراسة للحديث عن الأمثال القياسية المضروبة لتوحيد العبادة، وموضوع دراستي عن علاقة الأمثال في سورة إبراهيم بمقاصد السورة عامة ومحل ورود المثل.
٣- رسالة ماجستير بعنوان: مقاصد الأمثال القرآنية، عبد الله غازي طه، جامعة اليرموك، ٢٠١٥م، واشتملت هذه الرسالة على فصل تمهيد وفصلين آخرين على النحو الآتي:
التمهيد ذكر فيه الباحث: تعريف المقاصد لغةً واصطلاحا، وتعريف الأمثال لغةً واصطلاحا.
الفصل الأول المقاصد العامة للأمثال، ذكر فيه الباحث مبحثين:
الأول تحدث فيه عن التعريف بمقاصد العامة للأمثال.
والثاني تحدث فيه عن ذكر المقاصد العامة للأمثال.
أما الفصل الثاني فخصصه الباحث للحديث عن المقاصد الخاصة للأمثال، وجعله في مبحثين:
الأول وتحدث فيه عن تعريف المقاصد الخاصة للأمثال، ثم بعد ذلك ذكر هذه المقاصد الخاصة.
والثاني وتحدث فيه الباحث عن طريقة الوصول إلى المقاصد العامة والخاصة، والأدلة القرآنية عليها.
وعند النظر إلى ما اشتملت عليه هذه الرسالة سيكون هناك بعض الأمور المشتركة بين هذه الدراسة، وما سأقوم بدراسته كتعريف الأمثال لغةً واصطلاحا، وتعريف المقاصد لغةً واصطلاحا في مبحث تعريف المصطلحات ، كما يمكن الاستفادة من هذه الدراسة بالاطلاع على المقاصد العامة

والخاصة التي ذكرها الباحث، أما موضوع دراستي فسيكون عن علاقة الأمثال في سورة إبراهيم بمقاصد السورة عامة ومحل ورود المثل.
٤ -رسالة علمية " الأمثال القرآنية القياسية المضروبة المتعلقة بالكتب المنزلة والرسل عليهم الصلاةُ والسلام " للطالب عبد العزيز الضفيري، وهو بحث متعلق بالركنين الثالث والرابع من أركان الإيمان.
٥-رسالة علمية بعنوان "الأمثال القرآنية المضروبة للإيمان باليوم الآخر " للطالب محمد رفيق فرخ أحمد، وهو بحث متعلق بالركن الخامس من أركان الإيمان.
وهاتان الرسالتان لم أستطع الاطلاع عليهما؛ لعدم المقدرة للحصول عليهما.

- منهج البحث:

أتبع الباحث في هذه الدراسةِ المنهج التحليلي الاستنباطي، هذا ما انتظم عليه البحث عموما، وأما ما يتعلق بالمنهجية فقد قام الباحث في تناول الأمثال المندرجة تحت المباحث الثاني حسب الخطوات الآتية:
١_ تفسير المثل ببيان الممثل له والممثل به.
٢_دراسة المثل من حيث ارتباطه بمقصد المقطع القرآني الوارد فيه، وذلك يكون ببيان مدى ارتباط المثل في المكان الذي وضع فيه.
٣_ دراسة المثل من حيث مدى ارتباطه بكل مقاصد السورة فالسورة القرآنيةِ أكثر من مقصدٍ تدور حوله، وقام الباحث بإبراز علاقة المثل بمقاصد السورة كلها.

المبحث الأول

تعريف مصطلحات الدراسة

قبل البدء بأيّ دراسة والخوض في مضمونها لا بد من تعريف مصطلحات الدراسة وبيان المراد منها؛ وذلك حتى يسهل على القارئ فهم المصطلح، يتكون هذا المبحث من ثلاثة مطالب على النحو الآتي:

المطلب الأول

مفهوم الأمثال وعلاقتها بمحاور القرآن

أولا: تعريف الأمثال لغة

إن من الصعب تحديد معاني الكلمات، خاصةً إذا كانت من الكلمات المتداولةِ بين الناس، وكلمة الأمثال من الألفاظ التي كثر استعمالها بين العامة والخاصة؛ ولذلك يصعب تحديد معناها بسهولةٍ إلا بعد الاطلاع على معاجم اللغة، ويخصص أهل المعاجم اللغوية والمفردات مساحة كبيرة نسبيا لدراسة معنى المثل؛ وذلك لكثرة معانيه والأصول التي أخذت منها تلك المعاني، وما تصرف من مادة مثل من المصادر، وسأذكر المعاني الرئيسية التي تدور عليها كلمة المثل وجذرها اللغوي واشتقاقاتها على النحو الآتي:

لمعنى لأ ل للمثل:

ورد في بعض المعاجم وكتب اللغة والتفسير أصل المثل في كلام العرب المِثْل وهو النظير، قال ابن فارس: الميم والثاء واللام أصل صحيح يدل على مناظرة الشيء، وهذا مثل هذا، أي: نظيرة.

والمَثَلُ والمِثَالُ في معنى واحد وربما قالوا: مَثِيلٌ كشبيه "[1]

قال الفيروز آبادي في البصائر: " المَثَلُ، والمِثْلُ، والمَثِيل كالشَّبَه، والشِّبْهِ، والشِّبِيه لفظا ومعنى والجمع أمثال ..... " [2]

ومن هنا فأن المَثَل مأخوذ من المماثلة أي: المشابهةِ، فهو قائم على تشبيه شيء بشيء آخر لوجود تشابه أو تماثل فيما

---

[1]) أنظر: ابن فارس، احمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي ابو الحسين ،مقاييس اللغة، دار الفكر ج / ٥ ص / ٢٩٦.

٢) انظر: الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، بصائر ذوي التميز في لطائف الكتاب العزيز ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة ، ١٤١٢ ــ ١٩٩٢ ، ج / ٤، ص / ٤٨١.

بينهما سواء كان التشابه أم التماثل فيما بينهما بعنصر واحد أو أكثر، قال الراغب "والمثل يقال على وجهين ":
أحدهما بمعنى المِثْل، نحو شِبْه وشَبَه والثاني: عبارة عن المشابهة لغيره في معنى من المعاني " [١]

ولفظ المثل من أعم الألفاظ بمعنى المشابهةِ، فهو يقال في التشاركيةِ بالكميةِ أو في الكيفيةِ أو في الجوهرية فقط، فقد قال الفيروز آبادي: " وهو أعم الألفاظ الموضوعةِ للمشابهةِ؛ وذلكَ أن الند يقالُ فيما يشاركهُ في الجوهريةِ فقط، والشكلُ يقال فيما يشاركهُ في القدْرِ والمساحةِ، والشِبه يقال فيما يشاركهُ في الكيفيةِ فقط، والمساوي يقال فيما يشاركهُ في الكميةِ فقط، والمِثْل عامٌ في جميع ذلك" [٢] لذلك عندما أراد الله سبحانه وتعالى أن ينفي أي وجهٍ من وجوه الشبهِ بينهُ وبين المخلوقات قال تعالى :"لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ" [٣].

لمعنى لثاني ص لشي

فقد يعبر بلفظ المَثَل عن وصف الشيءِ أو وصفِ حالهِ، "مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ" [٤] وقوله تعالى: "مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً" [٥]

ففي هاتين الآيتين جاءَ معنى مَثَل وصف الجنةِ التي وعد الله سبحانه وتعالى بها المتقون في الآيةِ الأولى، وفي الآية الثانيةِ جاءَ بمعنى وصف حال المنافقين.

المعنى الثالث: القول السائر

يطلق لفظ مثل على كل قولٍ اشتهر وتناقلته الألسن وكثر استعمال الناس له، فالمثل هنا عبارة عن قول في شيء يشبه قولا في شيء آخر، كما ذكر ذلك الأصفهاني: "المثل عبارة عن قول في شيء يشبه قولا في شيء آخر، بينهما مشابهة، ليبين أحدهما الآخر ويصوره، نحو قولهم "الصيف ضيعت اللبن " [٦] ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم، قوله تعالى:" هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ"[٧]، وقوله تعالى: "الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ" [١] ، وقوله

---

١) انظر: الراغب الأصفهاني،أبو القاسم الحسين بن محمد ، المفردات، تحقيق : صفوان عدنان الداودي ، دار القلم ، دمشق ، ١٤١٢ ، ص / ٤٦٢.
٢) انظر: الفيروز آبادي، البصائر، ج / ٤، ص / ٤٨١.
٣)سورة الشورى: ١١.
٤)سورة الرعد:٣٥.
٥)سورة البقرة: ٧١.
٦)انظر: الراغب الأصفهاني، المفردات، ص / ٤٦٢.
٧) سورة الرحمن: ٦٠.

تعالى: "وَلاَ يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيئُ إلاَّ بأَهْلِهِ"[٢] فهذه بعضُ الآيات، وهناك آيات اخرى كثيرة أصبحت مدرجة على ألسنة الناس ينطقون بها عند رؤية حدثٍ ما، ينطبق عليه معنى آيةٍ من هذهِ الآيات .

وقد يأتي المثل بمعانٍ أخرى كالعبرةِ والآيةِ والحديثِ نفسه، وهذا ما ذهب إليه ابن منظور عندما قال "وقد يكون المَثَل بمعنى العبرة، ومنه قوله عز وجل: "فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ"[٣] ومعنى قوله: ومَثَلاً أي عبرة يعتبر به المتأخرون، ويكون المثل بمعنى الآية. قال الله تعالى في صفة عيسى –على نبينا وعليه الصلاة والسلام – "وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ" [٤] أي آية تدل على نبوته والمثل الحديث نفسه. وقوله عز وجل: "وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى" [٥]" [٦]

ثانيا: لأمثال صطلاحا

عند النظر في تعريف المثل عند العلماء نجد أن هناك تعريفاً خاصاً بعلماء الأدب، وتعريفاً آخر لعلماء البيان، وتعريفاً للمثل القرآني، وقبل بيان معنى المثل القرآني لا بد من الاطلاع على تعريف الأدباء للمثل وتعريف علماء البيان كذلك.

أما تعريفه عند الأدباء فهو قول في شيء يشبه قولا في شيء آخر بينهما مشابهة، ليبين أحدهما الآخر، ويصوره، نحو قولهم: الصيف ضيعت اللبن، وعرفه بعضهم بأنه: قول محكي سائر، يقصد به تشبيه حال الذي حُكِيَ فيه بحال الذي مثل لأجلهِ، بأن يُشَبّه مضربه بموره. [٧]

أما تعريف المثل عند علماء البيان فهو كما قال حامد عوني: " المثل هو الاستعارة التمثيلة شاع استعمالها، ويراعى فيه المعنى الذي ورد فيه أولا، ويخاطب به المفرد والمثنى

---

١) سورة يوسف: ٥١.
٢)سورة فاطر: ٤٦.
٣) سورة الزخرف: ٥٦.
٤) سورة الزخرف:٥٩.
٥) سورة النحل: ٦٠.
٦) انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل ، لسان العرب،بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٤ ، ج / ٦.
٧) انظر: شيخ الدين، بكري ، التعبير الفني في القرآن، دار العلم للملايين ، الطبعة السابعة ، ٢٠٠٤ ، ص / ٢١٧.

والجمع، مذكرا أو مؤنثا من غير تغيير في العبارة الواردة " [1] ، وذلك مثل قولهم: "اليد لا تصفق وحده "، فقد انتشر هذا المثل على ألسنة الناس وشاع، فهو مثل يضرب لمن يقوم بأمر معين وحده وليس له القدرةَ على ذلك الأمر تشبيها له بمن يريد أن يصفق بيدٍ واحدةٍ ولا يستطيع التصفيق لاستحالة ذلك، وكقولهم: "تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن" وهذا أيضا مثل يضرب لمن يطرأ له أمرٌ لا يرغب فيه، تشبيها له بربان السفينة التي تذهب بها الرياح إلى غير الوجهة التي يريدها .

عند النظر إلى تعريف المثل في الأصل اللغوي وعند علماء الأدب وعلماء البيان فأنه لا يستقيم حمل معنى أمثال القرآن على أصل المعنى اللغوي الذي هو الشبيه والنظير، كما لا يستقيم حملها على ما ذكره الأدباء في كتبهم من تشبيه المضرب بالمورد، كما لا يشترط في المثل القرآني أن يكون فيه غرابة أو طرافة، بل قد تكون صورا مختلفة لمعان ترد للعبرة والاتعاظ وتقريب ما يصعب على العقل من الأمور، وعلى هذا فالأمثال القرآنية هي تمثيل حال أمر بحال أمر آخر، أو هي إبراز المعنى في سورة رائعة موجزة لها، وقرها في النفس سواء كانت تشبيها أو قولا مرسلا.

ومن هنا فأمثال القرآن ليست أقوالا استعملت على وجه تشبيه مضربها بموردها كما ذهب إلى ذلك علماء الأدب، كما أن أمثال منها ما ليس باستعارة، ومنها ما لم ما ينتشر استعماله بين الناس كما ذهب إلى ذلك علماء البيان.

المطلب الثاني

أهمية الأمثال المضروبة في القرآن وأغراضها

أولا: أهمية الأمثال المضروبة في القرآن

اعتنى العلماء والأدباء والبلاغيون بالأمثال وأشادوا بها وأثنوا عليها في إيضاح المعاني وتقريبها من ذهن السامع؛ مما يؤدي إلى سرعة الفهم ويعين على التدبر، ومعرفة الأمثال القرآنية للعالم المجتهد والقارئ المعتبر مهمةٌ جدا، قال السيوطي: "قال الموردي من أعظم علم أمثاله، وقد عده الشافعي – رحمه الله – مما يجب على المجتهد معرفته من علوم القرآن فقال : ثم معرفة ما ضرب فيه من الأمثال الدوال على طاعته، المبينة لاجتناب

---

١) انظر: حامد عوني، ا لمنهاج الواضح للبلاغة، المكتبة الأزهرية للتراث ج / ٥، ص / ١٣٩.

معصيته" [1] وعند النظر في كتاب الله تعالى نرى مدى أهمية الأمثال الواردة فيه، وتتمثل هذه الأهمية فيما يلي:
١- ما لهذه الأمثال من سطوة على النفوس أكثر من غيرها؛ لذلك استخدمت كسلاح في الخصومة الكلامية، يتبين من خلالها بطلان ومزاعم المعاملين والكافرين وهدم معتقداتهم الباطلة، وقد سلك القرآن الكريم هذا النهج في كثير من أمثاله، من ذلك قوله تعالى:" مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ" [2]، حيث يبين الله سبحانه وتعالى في هذا المثل القرآني مدى ضعف الآلهة المعبودة دون الله سبحانه وتعالى، وشبه الله سبحانه وتعالى المتبع لها بالعنكبوت المتخذ بيتا، وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت، فهذا المثل يؤلم النفوس المشركة العابدة لغير الله سبحانه وتعالى؛ لما له من وقع وتأثير في النفس البشرية، وهم لا يستطيعون رد ذلك عنها أو نقضها، فليس لديهم ما يرونه مقنعا لهم، فضلا عن إقناع خصومهم – من المسلمين – بقوتها وقدرتها، وغير ذلك من أمثال كثيرة ضربت في القرآن الكريم على هذا النهج .
٢-حصر فهم الأمثال وإدراك معانيها بالعالمين دون غيرهم من الناس؛ ذلك أن الأمثال القرآنية أحكام وتشريعات جاءت على غير ما عهد أن تجيء عليه التشريعات والأحكام من أساليب، قال تعالى: "وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ" [3] فعندما يكون فهم الأمثال وإدراكها محصور بالعلماء دون غيرهم، يدل ذلك على مكانة الأمثال القرآنية، وعظم شأنها وقدرها، وأهميتها في ثنايا آيات كتاب الله سبحانه وتعالى.
٣- أن الأمثال القرآنية من أقوى الوسائل التي يمكن من خلالها معالجة النفوس وهدايتها، فالأمثال كفيلة بهداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور، إلا أن النفوس البشرية مجبولة على حب الجدل والمعاندة والجمود، قال تعالى: "وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا"[4] ،وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ

---

١) انظر: السيوطي،عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين ، إتقان في علوم القرآن، تحقيق : محمد أبو الفض إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٣٩٤ -١٩٧٤ ، ج / ٥، ص
٢) سورة العنكبوت: ٤١.
٣) سورة العنكبوت: ٤٣.
٤) سورة الكهف: ٥٤.

النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا] [1]؛ لذلك بقي بعض الناس على عنادهم وتماديهم في الكفر، فماذا عسى أن تفعل الأمثال مع من هم أضل من البهيمة وأصم من الحجارة الصماء؟!

٤- نسبة ضرب الأمثال في القرآن الكريم لله تعالى، فالله سبحانه وتعالى خالق الناس وهو أعلم بما يحتاجون إليه وما ينفعهم وما يضرهم، فامتن الله سبحانه وتعالى على عباده وخلقه بأن ضرب لهم الأمثال في القرآن ونسب هذا الضرب لنفسه، وإكثار ضرب الله للأمثال في القرآن ونسب هذا الضرب إليه يكسب هذه الأمثال أهمية كبيرة ومكانة عظيمة، ومما دل على نسبة الله سبحانه وتعالى ضرب الأمثال لنفسه آيات كثيرة في كتاب الله تعالى، كقوله تعالى: "وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً" [2] وقوله تعالى: "وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَت فِرْعَوْنَ" [3]وقوله تعالى: "ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَت نُوحٍ وَامْرَأَت لُوطٍ" [4]، ولو لم تكن هذه الأمثال ذا أهمية في كتاب الله تعالى لما أوردها في كتابه العزيز ونسب ضربها لنفسه، وهناك آيات كثيرة أخرى تدل على هذا الأمر .

٥-أنّ علم الأمثال من أهم علوم القرآن؛ لذلك رأى النبي-صلى الله عليه وسلم-أنها من أوجه القرآن الخمس، كما روى أبو هريرة رضي الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن القرآن نزل على خمسة أوجه: "حلالٌ وحرامٌ ومحكمٌ ومتشابهٌ وأمثالٌ، فاعملوا بالحلال، واجتنبوا الحرام، واتبعوا المحكم، وآمنوا بالمتشابه، واعتبروا بالأمثال"[5]، فعده النبي صلى الله عليه وسلم كوجه من الوجوه الخمس التي نوه عليها القرآن الكريم كالحلال والحرام والمحكم والمتشابه، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالاعتبار بها.

ومن خلال ما سبق يتبين لنا مدى أهمية الأمثال القرآنية في كتاب الله سبحانه وتعالى أنها جزء لا يتجزأ من أوجهه، إلا أن هذه الأمثال ضربت لغرض أساسي هو البيان والإيضاح يتفرع عنه أغراض أخرى.

---

١) سورة الإسراء: ٨٩.

٢)سورة النحل: ١١٢.

٣) سروة التحريم: ١١.

٤) سورة التحريم: ١٠.

٥) البيهقي ، أحمد بن الحصين بن علي بن موصى الخصروجردى الخراساني ، أبو بكر البيهقي ، شعب الإيمان ، مكتبة الرشد الرياض،الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م ، ج / ٣ ، ص / ٥٤٨.

ثانيا: أغراض الأمثال المضروبة في القرآن

ضُربت الأمثال في القرآن الكريم لأغراض سامية عديدة، وعند النظر في هذه الأغراض نراها تدور حول غرض أساسي هو بيان مراد الله عز وجل وإيضاحه، وإظهار حقيقة دينه، وغاية ذلك البيان الترغيب في الحق، والحث عليه وعلى العمل به ، والترهيب من الباطل للابتعاد عنه، وقد ذكر الأمام الزركشي – رحمه الله – بعضا من أغراض ضرب الأمثال في القرآن، فقال: "وضرب الأمثال في القرآن يستفاد منه أمور كثيرةٌ : التذكير والوعظ، الحث والزجر، الاعتبار والتقرير، وترتيب المراد للمثل، وتصوره في صورة المحسوس، وتأتي أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر ... " [1]، وعلى ذلك يتبين أن لضرب الأمثال أغراضا عديدة يمكن ذكر بعضا منها على النحو الآتي :

لا : بيان أن الأيمان بالله هو الحق والترغيب فيه ، ويتمثل هذا الغرض في آيات كثيرة في كتاب الله تعالى تظهر أن عبادة الله وحده والإيمان به دون غيره هي السبيل الصحيح والطريق المستقيم، وذلك من خلال التنويه بشأن المؤمنين، والإشادة بحسن خلقهم وما هم فيه من عز ومنعة وقوة في إحقاق الحق ونصرة دين الله في شتى المواطن، كما في قوله تعالى: { مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا } [2]، وكذلك من خلال ترغيب المؤمنين في ثوابه جل شأنه، وحثهم على البر والتقوى والإنفاق في سبيل الله، كما في قوله تعالى: { مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ .... }[3] وأيضا من خلال دعوة المؤمنين إلى التمسك بدينهم في جميع أحوالهم ، كما في قوله تعالى:

---

١) انظر: الزركشي، أبو عبدالله بدر الدين محمد بن عبدالله بن بهادر ، البرهان في علوم القرآن، تحقيق : محمد بن أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتاب العربية ، الطبعة الأولى ، ١٣٧٦ – ١٩٥٧ ، ج / ١، ص / ٤٨٦ – ٤٨٧.

٢) سورة الفتح: ٢٩.

٣) سورة البقرة: ٢٦١

{وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَت فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ } [١]

ثانيا : بيان أوصاف المشركين والكافرين ، فقد جاءت أمثالٌ كثيرةٌ في كتاب الله تعالى تبين أوصاف المشركين والكافرين، وما هم عليه من الباطل والسفه، كتسفيه أحلامهم وبيان ما هم عليه من جمود، وذلك كما في قوله تعالى: {وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ } [٢] ، وتحقير شأنهم وشأن ما يعبدون من دون الله، وبيان بطلان مزاعمهم، كما في قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ} [٣]، وكبيان سوء عاقبتهم ومصيرهم يوم القيامة عندما يقفون بين يدي الله، كما في قوله تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ(٣٩) أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ} [٤] .

ثالثا : بيان صفات المنافقين وخطرهم على المؤمنين، وذلك من خلال إبراز حالهم وما هم عليه، كما في قوله تعالى: {مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ..... }[٥] ، بيان أن دأبهم إثارة الفتنة في صفوف المسلمين وإيقاد نار الحرب بين المسلمين واليهود، وذلك كما في قوله تعالى:{ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} [٦].

---

١) سورة التحريم: ١١.
٢) سورة البقرة: ١٧١.
٣) سورة الحج: ٧٣.
٤) سورة النور: ٣٩ – ٤٠.
٥) سورة البقرة: ١٧ – ٢٠.
٦) سورة الحشر: ١١.

رابعا: ضرب المثل لإيضاح المراد وتقريبه للمخاطب، فهناك أمور قد يصعب على المخاطب تصورها وفهمها لأنها غائبة عنه، فيأتي ضرب المثل لتصوير هذا الأمر الغائب غير المحسوس بأمر آخر محسوس للمخاطب يقدر على فهمه، ومنها ضرب المثل لما يكون في الجنة من النعيم المادي المحسوس الذي ليس بمقدور المخاطبين إدراكه بحواسهم فيقربه الله بمثال محسوس لهم، كقوله تعالى: {وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ} (الواقعة: ٢٢-٢٣) ، وكذلك ضرب المثل لتقريب ما يكون في النار من العذاب، كقوله تعالى: {إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ} (المرسلات ٣٢-٣٣) فاللؤلؤ المكنون، والقصر، والجمالة الصفر، أشياء يمكن للعقل تصورها لأنها من المحسوسات المادية التي يمكن للمخاطب أن يحسها ، فضربت كأمثال عن أمور غائبةٍ لتقريب صورتها في ذهن المخاطب .

خامسا: إقامة الحجة والبرهان، فالقائمون على محاججة المنكرين لبعض أمور الدين يحتاجون إلى أدلة وحجج يثبتون بها صحة أقوالهم، وجاءت بعض أمثال القرآن الكريم كأدلةٍ برهانيةٍ وحجج بارزة، كالأمثال التي تضرب لإقامة الحجة والبرهان على إمكان البعث بعد الموت، ما ورد في قوله تعالى: "وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ" [١] كذلك قوله تعالى: {وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ....} [٢] .

سادسا : تربية النفوس على الاقتداء بالقدوة الحسنة والتنفير من ضدها ، قال تعالى : [ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ] [٣] ، وكذلك من الأمثال التي ضربت في القرآن الكريم على مثل هذا النهج قوله تعالى : [وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا] [٤] وقوله تعالى : [وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ] [٥]، ونحو ذلك كثير في كتاب الله .

---

١) سورة يس: ٧٨.
٢) سورة ق: ٩ – ١١.
٣) سورة محمد: ٣.
٤) سورة الكهف: ٣٢.
٥) سورة يس: ١٣.

سابعا: بيان قبح من أعرض عن كتب الله تعالى، فقد ضرب الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم أمثالا تبين مدى قبح حال من آمن بكتب الله السماويةِ ثم أعرض عنها ولم يتعمق في تعلمها ولا العمل بها، مع قدرته على التعلم من كتب الله تعالى والعمل بما فيها، ذلك كما في قوله تعالى:{مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } [1].

ثامنا: الإتيان بالأمثال بقصد المدح أو الذم، ويكون الغرض من ذلك الإشادة بالأمر الممثل له بمدحه، وبيان مزاياه والإشادة به؛ لأجل الاقتداء، وبيان عيوب الممثل له بذمه؛ لأجل التنفير منه، ومما ورد في كتاب الله تعالى بمدح الممثل له بالاقتداء به، قوله تعالى: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ} [2]، أما ما ورد في كتاب الله من الأمثال من أجل ذم الممثل له وللتنفير فمنه قوله تعالى: {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَت نُوحٍ وَامْرَأَت لُوطٍ} [3] ، فمن هذين المثلين يتبين أن في المثل الأول جاء مدح الممثل له وبيان مزاياه و خصاله؛ وذلك من أجل تحبيب النفوس فيه والاقتداء به، أما في المثل الثاني فجاء ضرب المثل بذم الممثل له وبيان مساوئه للتنفير منه والابتعاد عنه.

ويتبين مما سبق أن ضرب الأمثال في القرآن الكريم جاء لتحقيق أغراضٍ عديدة، وليس لمجرد قولها والمرور عليها مرور الكرام، وهذه الأغراض التي جاء لأجلها ضرب الأمثال تكسب الأمثال أهمية ومكانة في كتاب الله سبحانه وتعالى.

المطلب الثالث

مفهوم علم مقاصد السور

إن علم المقاصد من أهم العلوم التي تساعد على فهم كتاب الله تعالى، بل قد يكون عمدة في فهمه، وذلك ما ذكره الإمام الشاطبي -رحمه الله-قال تعالى: "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ"، ولأهمية هذا العلم ومكانته لا بد من تعريفه.

---

١) سورة الجمعة: ٥.
٢) سورة الفتح: ٢٩.
٣) سورة التحريم: ١٠.

أولا: تعريف علم مقاصد السور

المقاصد في اللغة جمع مقصد وأصله من قصد أي التوجه والنهوض قال ابن منظور: "قال ابن جني: أصل "ق ص د" ومواقعها في كلام العرب والاعتزام والتوجه والنهوض نحو الشيء على اعتدال كان ذلك أو جور هذا أصله في الحقيقةِ " [1]، فالمقصد هو العمدة الذي يتوجه إليه الكلام ويرجع إليه.

وعليه يمكن تحديد معنى مقصد السورة بأنه: مغزى السورة الذي تلجأ إليه معاني السورة ومضمونها، ويمثل روحها الذي يسري في جميع أجزائها، أما علم مقاصد السور فقد عرفه الإمام البقاعي بقوله: "هو علم يعرف منه مقاصد السور وموضوعه آيات السور كل سورة على حالها " [2]

ثانيا: أهمية علم مقاصد السور

تتبين أهمية علم مقاصد السور من خلال:

١-إن علم مقاصد السور يهدف إلى تحقيق المقصد الأساس من إنزال القرآن الكريم كله وهو التدبر والهداية، كما قال تعالى: "كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ"[3] فقد أمرنا الله تعالى بتدبر آيات كتابه من أجل معرفة مراد الله من كلامه والعمل به، وليس معنى التدبر هو النظر في ألفاظ وكلمات كتاب الله دون النظر في مقصده وما تهدي إليه سوره وآياته من الهدايات والدلالات التي بها يتحقق الفهم والعمل، ومن هنا يتبين أهمية علم المقاصد بأنه يركز على بيان مراد الله في كلامه والنظر إلى مجمل السورة ومجمع معانيها .

٢-إن معاني السورة لا تتحقق إلا بعد استيفاءها جميعا بالنظر وهذا أيضا لا يمكن تحققه إلا باستخراج مقصدها، فإن مقصد السورة هو أصل معانيها التي ترجع إليه، فمقصد السورة أصل في فهم معاني كتاب الله، وذلك ما قرره الشاطبي فقال: "اعتبار جهة النظم في السورة لا يتم فيه فائدة إلا بعد استيفاء جميعها بالنظر، فالاقتصار على بعضها غير مفيد للمقصود منها، كما أن الاقتصار

---

١) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج / ٣، ص / ٣٥٣

٢) انظر: البقاعي، غبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر ، مصاعد النظر، مكتبة المعارف ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٨ -١٩٨٧ ، ج / ١، ص / ١٥٥.

٣) سورة ص: ٢٩.

على بعض الآية في استفادة حكم ما لا يفيد إلا بعد كمال النظر في جميعها " [1]

٣-إن معرفة مقصد السورة يسهل على المفسر تفسير كلام الله تعالى على حسب مراده وبهذا يسلم من الوقوع في الخطأ عند تفسيره لآيات الله تعالى.

٤- إن تفسير القرآن باعتبار مقاصد السور يدل على أن كلام الله مؤتلفٌ منتظمٌ على نحو كمال نظمه ومعناه، وتكون السورة القرآنية كالبناء المرصوص من بدايتها إلى نهايتها بتناسق آياتها ومعانيها، قال البقاعي: في بيان أثر المقصد في السورة: "تكون السورة كالشجرة النضيرة العالية، والدوحة البهيجة الأنيقة الخالية، المزينة بأنواع الزينة المنظومة بعد أنيق الورق بأفنان الدر، وأفنانها منعطفة إلى تلك المقاطع كالدوائر، وكدائرة منها لها شعبة متصلة بما قبلها، وشعبة ملتحمة بما بعدها وآخر السورة قد واصل أولها كما لاحم انتهاؤها ما بعدها وعانق ابتداؤها ما قبلها، فصارت كل سورة دائرة كبرى مشتملة على دوائر الآيات الغر، البديعة النظم، العجيبة الضم، بلين تعاطف أفنانها، وحسن تواصل ثمارها وأغصانها "[2] .

٥-إن علم مقاصد السور يبرز إعجاز القرآن وكماله، ذلك إن من إعجاز القرآن وبلاغته وحدة السور في بنائها وترابطها، قال سعيد حوى: " قد استطعت بحمد الله أن أبرهن على أن كمال القرآن في وحدة آياته في السورة الواحدة وكماله في الوحدة الجامعة التي تجمع ما بين سوره وآياته على طريقة لم يعرف لها العالم مثيلا، ولا تخطر على قلب بشر " [3]

٦-إن روائع علم مقاصد السور يبعث على زيادة الإيمان في القلوب وقرارةٍ بالعين، ويحصل بمعرفة هذا العلم لذة ومتعة وسرورا ما لا يحصل في غيره؛ ذلك أنه يبحث في المقاصد الدقيقة للقرآن وأسراره العظيمة.

لأهمية هذا العلم ومكانته بين علوم القرآن فلا بد لمن أراد أن يبحث في القرآن وسوره وآياته أن يستنبط هذه المقاصد ويتعرف عليها.

---

١) انظر: الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي ، الموافقات، تحقيق : أبو عبيدة مشهور بن حسن ال سلمان ، دار إبن عفان ، ١٤١٧ ــ ١٩٩٧ ، ج / ٣، ص / ٤١٥.

٢) انظر: البقاعي، مصاعد الظر، ج / ١، ص / ١٤٩.

٣) انظر: سعيد حوى، الأساس في التفسير، دار السلام ، القاهرة ، ١٤٢٤ ج / ١، ص / ٢٧.

المبحث الثاني

علاقة الأمثال في سورة إبراهيم بمقاصد السورة

فيه بعة م ال :

المطلب الأول: بيان مقاصد السورة
المطلب الثاني: قوله تعالى: [... مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا...]
المطلب الثالث: قال تعالى: {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً ...}
المطلب الرابع: قوله تعالى: [... وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ...]

المطلب الأول

بيان مقاصد السورة

سورة إبراهيم لها مقصد عام، قال البقاعي: " ومقصودها: التوحيد، وبيان أن هذا الكتاب غاية البلاغ إلى الله، لأنه كافل ببيان الصراط الدال عليه، المؤدي إليه، وأدل ما فيها على هذا المرام: قصة إبراهيم عليه السلام "(١)

ين تح ه لمقص مقاص و عية هي:

أولا: بيان مدى نعم الله على عباده التي لا تعد ولا تحصى، وواجب العبد تجاه هذه النعم هو الشكر، وأنَّ نتيجة الشكر زيادة في النعم، والتحذير كل التحذير من كفران النعم وجحودها، وأنَّ عاقبة ذلك عذاب شديد، قال تعالى: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ}(٢)، وقوله تعالى: {وَآتَاكُمْ (٣) مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ}٤

ثانياً : تثبيت قلب النبي صلى الله عليه وسلم وتسليته مما لقيه من أذى من مشركي قريش، وذلك إما عن طريق ذكر قصص الأنبياء السابقين وما عانوه مع أقوامهم من معاندة وأذية وقتل، قال تعالى: {أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ} (ابراهيم : ٩) وإما عن طريق بيان أنَّ العاقبة للمتقين، قال تعالى:{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ (١٣) وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ

---

١) ينظر: البقاعي، مصاعد النظر، ج٢، ض/١٩٨
٢) سورة إبراهيم: ٧

٣) سورة إبراهيم: ٣٤

الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ (١٤) وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ }[١].

ثالثاً : الترغيب في الإيمان واتباع أوامر الله، والترهيب من الكفر وعاقبته، وذلك بعدة طرق: إما عن طريق ضرب الأمثال للحق والباطل، كقوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤)تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ }[٢] ، وإما عن طريق بيان عاقبة المؤمنين وسوء عاقبة الظالمين، قال تعالى: {وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ } [٣] ، وقال تعالى : { فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ }[٤] .

رابعاً: بيان أنواع من العذاب الذي أعده الله للكافرين يوم القيامة، كقوله عز وجل: {وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ}[٥]، فهذه مجمل المقاصد الفرعية لسورة إبراهيم[٦].

المطلب الثاني

[... مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا...]

قوله تعالى: [... مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ]

لا: مبا لمثل

يشبه الله سبحانه أعمال الكافرين في الحياة الدنيا التي لن ينتفعوا بها في الآخرة كالرماد الذي تناثر وتطاير بفعل ريح شديدة في يوم عاصف شديد البرودة، هذا الرماد المتطاير لن يستطيع أحد جمعه مرة أخرى؛ فلذلك يستحيل الانتفاع به، وكذلك أعمال الكافرين الصالحة في الدنيا لن ينالوا ثوابها في الآخرة.

لقد ضرب الله مثلا لأعمال الكافرين، فقال: مثل الذين كفروا بربهم، أي مثل أعمالهم الصالحة كصلة الرحم وعقر الإبل لأضياف الضيوف، وافتداء الأسرى وبر الوالدين وغيرها التي يرجون ثوابها يوم القيامة من الله

---

١) سورة إبراهيم: ١٣ – ١٥ .
٢) سورة إبراهيم: ٢٤ – ٢٦ ..
٣) سورة ‘براهيم ٤٤ .
٤) سورة إبراهيم: ٤٧ .
٥) سورة إبراهيم: ٤٢ .
٦) أنظر: الطنطاوي، محمد سيد طنطاوي ، التفسير الوسيط ، دار النهضة ، مصر ، ج/٧، ص/٥٠٥ .

سبحانه وتعالى، كمثل الرماد الذي جاءته ريح عاصفة في يوم ذي ريح شديدة قوية فنثرت ذلك الرماد، ولا يقدر أحد على جمعه، وكذلك أعمالهم التي قاموا بها في الدنيا لا يستطيعون الانتفاع بها في الآخرة، ذلك هو الضلال البعيد، أي سعيهم وعملهم على غير استقامة ولا أساس، فهذه الأعمال التي قاموا بها بعيدا عن الحق بفقدهم شرط قبولهم، وشرط قبولها هو الأيمان[1]، قال تعالى: [وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ....][2]

ثانيا: علاقة لمثل بالمق ع ل فيه:

بعد أن ذكر الله سبحانه وتعالى بأنه توعد الأمم السابقة المكذبة بالرسل بالانتقام منهم وإذاقتهم العذاب الشديد، وأرشد الأنبياء بالتوكل عليه، والتيقن بحفظهم وصيانتهم من كل شر قد يلحق بهم، جاء بيان موقف الكفار بتهديدهم لأهل الحق بأحد أمرين: إما الإخراج من ديارهم، وإما العودة إلى الكفر والطغيان، إلا أن الله جاعل العاقبة والنصر في النهاية للمتقين والهزيمة للمشركين، وتلك سنة الله في خلقه، ثم بين لهم بأن أعمالهم كالرماد الذي عصفت به الرياح، فجعلته هباء منثورا.

بعد أن بين الله في المثل أن أعمال الكفار الصادرة عنهم إنما هي كالهباء المنثور الذي لا يمكن الاستفادة منه، جاء البيان بأن سبب إبطال أعمال الكافرين هو ما صدر منهم من الكفر والإعراض عن عبادة الله وإشراكهم في العبادة، وأن الله لا يبطل أعمال من دخل الإيمان إلى قلوبهم، فأصبحت أعمالهم خالصة لوجه الله تعالى، فإبطالها لا يليق بحكمة الله سبحانه وتعالى.

ثالثا: علاقة لمثل بمقاصد لس

جاء المقصد العام في سورة إبراهيم لبيان أن الطريقة المؤدية إلى الله سبحانه وتعالى هي طريق التوحيد، ويرتبط المثل بهذا المقصد ارتباطا وثيقا، حيث بين المثل أن أعمال الذين كفروا وسلكوا غير طريق التوحيد المؤدية إلى الله ستكون هباء منثورا، لا نفع منها إلى يوم القيامة كالرماد المتطاير مع الرياح في يوم شديد العصف، فهذا الرماد يصعب جمعه والانتفاع به، وكذلك أعمال الكافرين لا يمكن الانتفاع بها عند الله سبحانه وتعالى.

كما ي تب لمثل بالمقاصد لف عية لس ب هي على لنح لآتي:

---

١) أنظر: الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ ج٢، ص٥٤٧، البيضاوي، أنوار التنزيل، ج٣، ص١٩٦.

٢) الفرقان ٢٣.

١ – تحدث المقصد الأول في هذه السورة عن نِعم الله على عباده التي لا تعد ولا تحصى، ومن واجب العبد اتجاهها لدوامها شكر الله عليها، وعليه ألا يقابل هذه النعم بالكفران والجحود، فإذا قابل الإنسان ما أنعم الله به عليه بالكفر والشرك والجحود فكل ما يقوم به من أعمال خير كالرماد المتطاير الذي لا يمكن الانتفاع به، وهذا هو حال جاحد نعم الله فأعماله ستكون هباء منثورا لا يستفيد منها يوم القيامة؛ لفقدانه الأصل والإيمان بالله وشكره على نعمه، فكيف لكافر أن يشكر نعم الله عليه وهو لا يعترف بأحقية الله بالوحدانية والعبادة.

٢- جاء في المقصد الثالث ترغيب العباد في الإيمان بالله تعالى واتباع أوامره والابتعاد عن زواجره ونواهيه، وإرهاب العباد من الكفر ومصير صاحبه الذي سيؤول إليه وهو عذاب أليم، وكان من أحد أساليب الترغيب بالإيمان والترهيب من الكفر والتحذير منه هو ضرب الأمثال، فجاء ضرب المثل للكافرين بأن اعمالهم التي يقومون بها في الحياة الدنيا ستكون يوم القيامة هباء منثورا لا ينتفع بها ولا بثوابها وأجرها، فشبَهه بالرماد الذي تطاير بفعل ريح شديدة هبت في يوم عاصف شديد البرودة، فمن المستحيل إعادة جمع هذا الرماد للاستفادة منه مرة اخرى، وضرب هذا المثل للترهيب العباد من الكفر والابتعاد عنه.

المطلب الثالث:

قال تعالى: {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً ...}

لا: مبا لمثل

في هذا المثل تشبيه مرسل شبه الله فيه الكلمة الطيبة بشجرة طيبة ذات ثمر طيب وأصل قوي ثابت في الأرض وذات فروع شامخة في السماء وثمر دائم.

ألم تر كيف ضرب الله مثلا أي : ألم تتأمل أيها المخاطب بالمثل الذي ضربه الله سبحانه وتعالى، حيث شبه الله تعالى الكلمة الطيبة وهي الشهادتان وقيل: الإخلاص وقيل الإيمان، بالشجرة الطيبة: ويرى المفسرون أنها النخلة، قد بينت في رواية ابن عمر-رضي الله عنه -عن النبي -صلى الله عليه وسلم – أنه قال لإصحابه أخبروني عن شجرة هي مثل المؤمن؟ فوقعت الصحابة في شجر البوادي. قال ابن عمر: ووقع في نفسي أنها النخلة، ثم إنَّ النبي – عليه الصلاة والسلام – قال: هي النخلة. قال ابن عمر – رضي الله عنه – فذكرت لأبي أنه كان قد وقع في نفسي كذا، فقال: لو

كنتَ قلته كان أحب إلي من حمر النعم "[1] التي جعل الله لها صفات عديدة: أولها كون هذه الشجرة طيبة برائحتها ومذاقها وشكلها ومنفعتها، أي أنه يستفاد منها بكل شيء، ثانيها: ذات أصل ثابت: أي أن جذرها راسخ في الأرض متمكنا فيها، وثالثها فرعها في السماء أي أن أغصانها مرتفعة تعانق السماء وبعيدة عن عفونة الأرض، فتكون ثمارها نقية طيبة المذاق خاليه الشوائب، أما صفتها الرابعة أنها تؤتي أكلها بأذن ربها في كل حين وثمارها موجودة كل وقت و متيسره [2]

وبضرب الله الأمثال: أي يضرب الله الأمثال للناس زيادة أفهام وتفكير وعظه، وذلك من خلال تقريب تشبيه المعاني المعقولة بالأمر المحسوس، مما يرسخ المعنى ويزيل الشك والريبة فيها.

ثانيا: علاقة لمثل بالمق ع ل فيه:

بعد أن بين الله عاقبة أهل الكفر وما سيؤول إليه مصيرهم من العذاب الشديد في نار جهنم، وذكر عاقبة المتقين الصالحين الذين سيفوزون بجنات النعيم يوم القيامة، جاء ذكر المثل لبيان حال الفريقين وسبب التفريق بينهما، وذكر المثل لتقريب المعنويات بالحسيّات، وذلك لجعل المعاني راسخة في الأفهام والأذهان.

وبعد أن ضرب الله المثل الذي بين فيه حال الفريقين يوم القيامة، رجع في الآية التالية يتحدث عن أوصاف الكفار من أهل مكة ومعاندتهم لدعوة نبينا محمد، بالرغم من النعم التي أنعم الله بها عليهم: مثل سكنهم في البلد الحرام، والتوسيع عليهم في عيشهم، وبعث إليهم رسولا من أنفسهم، فلم يقدروا قيمة هذه النعم، ثم بين أسباب المصير الذي أوصلهم إلى عذاب جهنم، ثم أمرهم بالتمتع في الحياة الدنيا والتمتع بنعيمها من باب التهديد لهم، وأمر المؤمنين بجهاد النفس والصلاة والإنفاق.

ثالثا: علاقة لمثل بمقاصد لس

يتجلى المقصد العام لسورة إبراهيم ببيان أن الطريق الصحيح التي لا بد للعبد أن يسلكها كي ينجو هي طريق التوحيد، والإقرار بأحقية الله وحده بالعبادة دون الإشراك به، وجاء المثل بتشبيه كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) بالشجرة الطيبة ذات الأصل الثابت الراسخ والفرع الشامخ، وهذه صفة كلمة التوحيد فهي دليل ثبات الإيمان في قلب العبد، وانعكاس ذلك على جوارحه، وهنا يلحظ الارتباط بين المقصد العام وضرب هذا المثل.

---

١) انظر: بن حنبل، أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ، مسند الأمام أحمد، تحقيق : شعيب الأرناؤط ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١ -٢٠٠١ ، ج٩، ص٢٠٨

٢) الرازي، أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي ، مفاتيح الغيب ، دار إحياء التراث العربي ، بيزوت ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٠ ، ج١٩، ص٩٠

كما يرتبط هذا المثل بالمقاصد الفرعية بسورة إبراهيم على النحو الآتي:
١- ذكر المقصد الأول لسورة إبراهيم ضرورة شكر الله بنعمه على عباده، وهذا الشكر يؤدي إلى زيادة النعم، وأفضل طريقه لشكر الله على نعمه هي توحيده، فبين هذا المثل الذي ضرب بالكلمة الطيبة، وهي كلمة التوحيد (لا اله الا الله)، فشبهت بالشجرة الطيبة ذات الثمر الطيب التي تؤتيه في كل وقت وحين وذات الجذر الثابت في الأرض .
٢- يتجلى المقصد الثالث بالترغيب في الإيمان والترهيب من الكفر بعدة أساليب، ومن هذه الأساليب ضرب الأمثال، وهذا المثل ضرب للترغيب في الإيمان من خلال وصف الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد التي هي أصل الإيمان بأفضل الصفات وأحسنها، فشبهت الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة ذات الثمر الطيب المتوفر في كل وقت وحين، وبالشجرة الثابتة التي لا تجتث، وذات الفروع الشامخة في السماء، فهذا يدل على خيرية كلمة التوحيد (الكلمة الطيبة) والتي تعود بالنفع على صاحبها في الدنيا والآخرة.

المطلب الرابع

قوله تعالى: [... وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ...]

لا: مبا لمثل

شبه الله سبحانه وتعالى الكلمة الخبيثة كشجرة خبيثة سيئة الطعم والمنظر لا ينتفع بها، وهي شجرة ضعيفة غير ثابتة في الأرض، وهكذا هي كلمة الكفر والشرك غير مستنده لدليل قوي؛ بأنها معارضة للحق، فلا أصل لها كهذه الشجرة التي لا جذر لها في الأرض.
ذكر الله تعالى في هذه الآية مثالا عجيبا فقال: ومثل كلمة خبيثة أي : كلمة الكفر أو الشرك كصفة الشجرة الخبيثة وهي شجرة الحنظل، في ما روي عن أنس أبن مالك عن الرسول – صلى الله عليه وسلم – قال " ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة هي الحنظلة " [١] ، وجعل الله لهذه الشجرة ثلاث خصال: أولها أنها خبيثة الطعم أو الرائحة أو كثيرة المضار، ثانيها: أن هذه الشجرة الخبيثة سطحية اجتثت من فوق الأرض أي استؤصلت، فليس لها جذر ولا عرق، وكذلك الشرك بالله لا أساس له ولا دليل ثابت فهو ضعيف، ثالثها: ليس لها استقرار، الشجرة التي تتصف بهذه الصفات لا ينتفع بها، بل وتسبب الضرر، وهي هشة تجتث اجتثاثا من فوق الأرض، وذلك حال كلمة الكفر والشرك.

---

١) أنظر: أبن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي ، صحيح إبن حبان بترتيب إبن بلبان ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ج٢، ص٢٢٢.

ثانيا: علاقة لمثل بالمق ع ل فيه:

بعد أن بين الله عاقبة أهل الكفر وما سيؤول إليه مصيرهم من العذاب الشديد في نار جهنم، وذكر عاقبة المتقين الصالحين الذين سيفوزون بجنات النعيم يوم القيامة، جاء ذكر المثل لبيان حال الفريقين وسبب التفريق بينهما، وذكر المثل لتقريب المعنويات بالحسيّات، وذلك لجعل المعاني راسخة في الأفهام والأذهان.

وبعد أن ضرب الله المثل الذي بين فيه حال الفريقين يوم القيامة، رجع في الآية التالية يتحدث عن أوصاف الكفار من أهل مكة ومعاندتهم لدعوة نبينا محمد، بالرغم من النعم التي أنعم الله بها عليهم: كأسكانهم في البلد الحرام، والتوسيع عليهم في عيشهم، وبعث إليهم رسولا من أنفسهم، فلم يقدروا قيمة هذه النعم، ثم بين أسباب المصير الذي أوصلهم إلى عذاب جهنم، ثم أمرهم بالتمتع في الحياة الدنيا والتمتع بنعيمها من باب التهديد لهم، وأمر المؤمنين بجهاد النفس والصلاة والإنفاق.

ثالثا: علاقة لمثل بمقاص لس

جاء المقصد العام لسورة إبراهيم لتبيان الطريق المستقيم الهادي إلى الحق والهدى، وهو طريق التوحيد والإقرار بالعبودية لله تعالى والابتعاد عن الكفر والشرك والطغيان، وضرب هذا المثل لإقناع العقول بأتباع الحق، وتنفيرهم من الكفر والشرك من خلال بيان المصير الذي سيؤدي اليه فجاء التمثيل للشرك بالكلمة الخبيثة التي شبهت بالشجرة الخبيثة التي يسهل اجتثاثها عن وجه الأرض، لضعفها وهشاشتها، وعدم الانتفاع منها بشيء، وهذه صفات تنطبق على أهل الشرك والطغيان؛ لأنهم لن ينتفعوا بشركهم بل يولد فيهم الضعف والذلة والمهانة.

١- جاء المقصد الأول لبيان شكر العبد لله للنعم التي أنعم الله عليه بها، وأن بالشكر تزداد النعم، ومن العجب أن يقابل العبد هذه النعم بالجحود والنكران، وأعظم جحود قد يفعله العبد اتجاه المنعم عليه هو الإشراك به، فجاء ضرب هذا المثل بتنفير العبد من كلمة الشرك، ووصفها بالكلمة الخبيثة التي تشبهه الشجرة الخبيثة غير الثابتة ولا نفع فيها، بل وتعود بالضرر على من حولها، وكذلك الشرك بالله لا ينفع صاحبه بل يعود عليه في الآخرة بالخسران المبين.

٢- تكلم المقصد الثالث عن الترغيب بالإيمان والترهيب من الكفر، وذلك عن طريق أسلوب ضرب الأمثال، فجاء هذا المثل كي يرهب من كلمة الكفر والشرك، وضرب لها مثلا كأنها كالشجرة الخبيثة التي لا يمكن الانتفاع بها، فالعاقل المتدبر بآيات الله والعاقل المتدبر لهذا المثل في القرآن جدير به أن يبتعد عن الشرك ويقبل على الدخول في الإيمان.

٣- تحدث المقصد الرابع عن بيان بعض أنواع العذاب التي أعدها الله سبحانه وتعالى للكافرين والمشركين، وضرب هذا المثل لكلمة الشرك يبين أن مصير صاحبها الهلاك في الدنيا والآخرة، وأن الله قد أعد له أنواع عديدة من العذاب، فالعبد العاقل يتجنب الشرك ومصيره السيء، ويدنو من الإيمان والنعيم المقيم في الآخرة.

الخاتمة

الحمد لله وكفى ، والصلاة والسلام على النبي المصطفى ، وعلى آله وصبحه ومن أهتدي ، أمَّا بعد :

لنتائج

توصل الباحث في هذا البحث إلى عدة نتائج وهي :

- أنَّ المثل القرآني يرتبط إرتباطاً وثيقاً بالمقطع الذي ورد فيه ، فهو بمثابة المتمم لمعنى الآيات التي سبقته ، والتمهيد للآيات التي جاءت بعده .
- أنَّ الأمثال التي جاءت في سورة إبراهيم ترتبط بالمقصد العام ، ولها صلة بالمقاصد الفرعية .
- أنَّ الأمثال في سورة إبراهيم ، ركزت على أمور العقيدة ، فالمثل الأول تحدث عن إحباط أعمال الكافرين ، والمثل الثاني للتمثيل كلمة التوحيد بالكلمة الطيبة وتشبيهها بالشجرة الطيبة ، والثالث التمثيل لكلمة الكفر بالكلمة الخبيثة وتشبيهها بالشجرة الخبيثة .

وأخيراً أسأل الله العلي العظيم أن يكون الباحث قد وفق في كتابة هذا البحث ، وأن ينفع به الأمة الإسلامية .